Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذَا قيل لكم انْفِرُوا فى سبيل الله اثَّاقَلْتُم إلى الأرض أَرَضِيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاعُ الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ﴾ ، فالقارىء لتلك الكلمة يستشعر صعوبة واضحة فى نطقها ، وليست خفيفة الوقع كذلك على الأذن ، وذلك على خلاف ما نراه فى كلمة بديلة وهى « تثاقلتم » بيد أن الأولى بتشكيلها الصوتى أقوى فى تصوير المراد والإيحاء به ، إذ ترسم صورة مجسمة للتباطؤ الشديد ، وتثير فى خيال قارئها وسامعها صورة ذلك الجسم المُثاقل يرفعه الرافعون فى جهد فيسقط من أيديهم فى ثقل[1] . مثال ثالث من القرآن الكريم أيضا وذلك كلمة « يصطرخون » من قوله تعالى فى سورة فاطر [آية : ٣٦ – ٣٧] ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقْضَى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نَجْزى كل كَفُور وهم يَصْطرخون فيها ربَّنا أَخْرِجْنا نعملْ صالحًا غيرَ الذى كنا نعمل ﴾ فهذه الكلمة بجرسها الغليظ تصور بدقة بالغة « غلظ الصراع المتجاوب من الكفار من كل مكان ، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة ، كما نلقى إليك ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذى لا يجد من يهتم به أو يلبيه . وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الذى هم فيه يصطرخون »[2] ولو أن كلمة « يصرخون » وضعت مكان تلك الكلمة لما تفجرت فى النفس كل هذه المعانى . وهكذا نجد طائفة كبيرة من مفردات اللغة تبدو ثقيلة الجرس لكنها تؤدى وظيفة فنية فى تشكيل الصورة وإبراز معالمها على نحو يهز معيار البلاغيين المتأخرين الذى ارتضوه فى فصاحة الكلمة .

ومن أسس هذا المعيار أيضا البعد عن الغرابة ومدلولها عندهم أن تكون الكلمة وحشية يحتاج فهم معناها إلى بحث وتنقيب فى كتب اللغة المبسوطة[3] والحق أن بعض البلاغيين علق الحكم بالغرابة أو الألفة على الذوق السليم ، ولذلك دلالته فى إدراكهم لطبيعة التطور فى استخدام اللغة وما ينجم عنه من ألفة الكلمة بكثرة تداولها واستعمالها بين أهل اللغة فيأنس الذوق إليها ويرتاح لها أو غرابتها

---

(١) انظر سيد قطب ، التصوير الفنى فى القرآن (دار الشروق) ص ٧٦ .

(٢) السابق : ص ٧٧ .

(٣) انظر الخطيب القزوينى كتاب الايضاح ص ٤ ، وأحمد مصطفى المراغى ، علوم البلاغة (المكتبة العلمية ومطبعتها الطبعة الثالثة) ص ١٦ .